

2006

الأنثروبولوجيا والخطط الاستعمارية (الوضعية السياسية في (حوز مراكش سنة 1907

محمد ناجي بن عمر

najirha.66@gmail.com, كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، جامعة ابن زهر، المغرب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>



Part of the [History Commons](#)

Recommended Citation

"(ناجي بن عمر، محمد (2006) "الأنثروبولوجيا والخطط الاستعمارية (الوضعية السياسية في حوز مراكش سنة 1907
Dirassat: Vol. 12 : No. 12 , Article 2.

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol12/iss12/2>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in *Dirassat* by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

الانتروبولوجيا والخطط الاستعمارية
(الوضعية السياسية في حوز مراكش يوم فاتح يناير 1907)

تقرير سري لادموند دوتي

تعلیق : بول باسکون

ترجمة: محمد ناجي بن عمر

(كلية الآداب والعلوم الإنسانية - أكادير)

تقديم :

قبل الشروع في تقديم هذا التقرير السري الذي كتبه إدموند دوتي E. DOUTTE وعلق عليه بول باسكون P. PASCON وأغنيائه ببعض الهوامش التوضيحية، نشير أن لفظ تقرير بالعربية الذي هو ترجمة لكلمة RAPPORT بالفرنسية، هو أبلغ لأنه يحمل معنى التأكيد والإقرار، في حين لا نفهم منه في الفرنسية سوى معنى النقل أو الوصف للأحداث والوقائع. وتعتمد التقارير - على اختلاف أنواعها - أسلوبا واضحا ومركزا إلى درجة الاختصار مع عدم ذكر مصادر معلوماتها في الغالب الأعم. ولا تكون فقراتها وأقسامها إلا وظيفية ومباشرة غير قابلة للتأويل أو التخمين، وغالبا ما يكون أصحابها أو كتابها من ذوي الكفاءة المهنية والعلمية الكبرى ومن أشهر كتاب التقارير الاستعمارية :

JUSTINIARD, ERCKMAN, ROUX, LAOUST, BOURGUIGUON, COPPLANI,
DUPOND, M. BELLAIRE, MONTAGNE, J.BERQUE, HART.

أما عن قيمة هذا التقرير فإننا نشير إلى أنه هام جدا في تاريخ المغرب خلال بداية القرن العشرين، حيث يكشف لنا عن تزايد عدد المهتمين بالمغرب خصوصا وشمال افريقيا عموما خلال هذه الفترة. كما يوضح بجلاء تأجج الأطماع الاستعمارية الفرنسية في الحوز باعتبارها أحد مناطق المغرب وبه مدينة حساسة جدا هي مراكش. وهكذا فكرت فرنسا في استغلال كل الجوانب الممكنة لاحتلال الحوز، ونقصد بها الجانب الديني (الزوايا والطرق) والجانب السياسي (القياد) والاجتماعي (التنقل القبلي وتنقل الأشخاص) مع استغلال نجاح سياستهم في تونس والجزائر واستثمارها في المغرب. كما يوضح التقرير أيضا الوعي الاستعماري المبكر بالترابط الإثني والجغرافي والبشري والديني بين كل جهات شمال إفريقيا. ولهذا خلص دوتي إلى أن سياسة فرنسا في تونس والجزائر هي مفتاح سياستهم في المغرب، كما أن سياستهم في الصحراء مرتبطة - وبقوة - بسياستهم في المغرب.

أما عن طبيعة الهوامش التي أغنى بها بول باسكون هذا التقرير فإن أغلبها غير موثق مع العلم أنه بالإمكان التثبت من صحة بعضها في مصادر الفترة. ولهذا عملنا على توثيق بعضها بالإحالة على مصادرها بقولنا (للتفصيل انظر...). مع العلم أن بول باسكون غابت عنه الدقة في كثير من المعلومات، إلا أننا أثّرنا ترجمة هذا التقرير أولا وترك التعليق عليه وقراءته للمهتمين والباحثين في تاريخ المغرب خلال هذه الفترة ثانيا.



عناصر القوة في السياسة الفرنسية بالحوز :

ما هي الوسائل والأدوات الممكن استعمالها وتوظيفها - في مثل هذه الظروف المناسبة نسبيا - في السياسة الفرنسية لاستعمار الحوز؟

هذا ما سنحاول البحث فيه وتخرجه باقتضاب، مستحضرين أن السياسة الإسلامية لفرنسا في المغرب مرتبطة بشكل جوهري مع سياستها في باقي شمال افريقيا.

أ - الشخصيات السياسية الكبرى :

لاشك أن نفوذ القواد الكبار وتأثيرهم واضح جدا، لكن يجب أن لا ننسى أن لهم نفوذا وتأثيرا عارضين ومشكوك فيهما. فالسلطات تتعامل معهم بحذر خاصة أنهم يكونون مضطرين دائما للإستجابة لمطامعهم وجشعهم. لهذا ينظر إلى القياد باحتياط كبير خاصة عندما نلاحظ طريقتهم في تسيير الأمور وقدراتهم على استرداد مصاريفهم باستمرار⁽¹⁾. فهم طيلة حياتهم مهددون بغضب المخزن وسخطه⁽²⁾، أو تمرد

(1) لقد تزايدت حاجيات المخزن المادية منذ حرب تطوان 1860. من إكراهات عملية ارجاع الديون المترتبة عليه، وإعادة تنظيم الجيش ومحاولات التحديث والتجديد وإخماد الفتن والتمردات الداخلية. وقد تنامي نفوذ القواد وتزايد من خلال عمليات نهب الثروات بعد وفاة باحماد الصدر الأعظم لمولاي عبد العزيز. ففي كل مناسبة دينية أو عيد كانت الشخصية البدوية تقترض من البنوك (BRAUNSHWIG) واليهود (COROS) بمراكش. من أجل تخصيص السلطان بهدايا تليق بمقامه وبالتالي الحصول على ظواهر تعيين على بعض القبائل التي يتزعمونها فعليا، وبعد الحصول على تلك الظواهر والعودة إلى قبائلهم ومجال نفوذهم يبقى عليهم البرهنة على قوتهم ونفوذهم أمام أهاليهم باسترداد الديون المترتبة عليهم نقدا أو عينا (حبوب وزيت وصوف ولوز... إلخ) للتفصيل انظر الإستقصا للناصري وتاريخ تطوان لمحمد داود.

(2) لقد منح ضعف المخزن فرسا لزعماء القبائل المجاورة للمدن للتمرد، ولحاشية السلطان للبحث عن مساندين من أجل الحصول على امتيازات من العرش. فأصبح الزمن الاجتماعي قصيرا جدا وأضحينا أمام أناس وفئات طامعة في السلطة والمال تتصارع في البلاد وتتمرد وتتناقل الأخبار السرية وتسمم العلاقات في القصر بطرق متفاوتة الحدة مثل أسهم البرصة في أوج نشاطها. حيث ترتقي منهم الشخصيات السياسية أو تنزل حسب المعلومات الصحيحة أو غير الصحيحة التي تقد إلى السلطان الذي دفعته محاصرته وضعفه إلى عزلة نفسية. ففي 8 أبريل 1906 نصب مولاي عبد العزيز عدة قواد من أجل محاصرة المتوكي. وفي 5 غشت من السنة نفسها نجى أغلبهم واستبدلهم بآخرين، وستنان بعد ذلك سيعين المتوكي على رأس تلك القبائل. وسنة بعد ذلك سيصبح الكلاوي هو من يحكم كل تلك القبائل تقريبا.

(3) لقد كانت المراسلات الخاصة بين القواد الكبار هذه الفترة تعج بالمعلومات عن وجود أشكال من المقاومة السرية أو العلنية لأهاليهم الذين يرفضون أداء الضرائب أو الاتاوات أو القيام بالأشغال الشاقة (الكلف) أو القرار من «الفریضة» وهكذا كتب الطبيب الكندافي إلى أخيه إبراهيم يوم 23 يونيو 1905 ما يلي : (الحمد لله وحده الأخ الأرضى المنيف الأرشد، إبراهيم أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله... وبعد : فورد علينا... ما أخبرت به من أن أعيان وشرفاء تمصلحت وعوامها على أداء الترتيب... وصار مولاي الحاج يوسف لبعضهم... وأن الناس شرعوا في الأداء معاد شياطين غيابة لازالوا يتلون ويراغون... وارتكب السياسة لأولد الحرام حتى تقضو الغرض ولا بد ولا تقصر أمنك الله... والسلام. في 19 ربيع الثاني عام 1923هـ) يوجد نص الرسالة كاملا ضمن ملحق الوثائق الذي ذیل به بول باسكون مؤلفه : حوز مراکش.

(5) لقد كشف السيد LASSALAS في أبريل (1906) عن رغبة الكلاوي في الحصول على الحماية الفرنسية (...) وتجدر الإشارة إلى أن كل التدابير والتحريات التي قامت بها المفوضية أو القنصل بموكادور بهذا الخصوص تمت في سرية تامة. لقد كانت رغبة الكلاوي ملحة لأنه كان في تعارض وصراع قوين مع المخزن.

(6) لقد استطاع التجار الأجانب خاصة الألمان (Nier, Marx) والفرنسيين (Lassalas) استنزاف كل منتوجات الحوز الفلاحية والحيوانية (قمح، وزيت ولوز وجوز وصوف) وبعثها لمخازنهم بضيعاتهم بالصورة. وأصبح القواد الكبار هم أكبر مموليهم، فقلت بالتالي خبرات البادية مما لم يمكن القواد من تحصيلها عينا وبالتالي تعذر إمداد القصر سواء بالواجبات أو الهدايا. وإلى حد الآن تكلف اليهود بتوفير المواد والزيادة في الكميات لكن في مستوى منافسة الشركة المغربية وضيعات et E/1709 La Gaburuder Marx أو Weiss und Man. هكذا وضع الأجانب اليد على أهم دواليب المبادلات التجارية، لكن بعد حرب باردة مع القواد الكبار عزم هؤلاء حوالى سنة 1901 أن لا يبقوا تحت رحمة التجار الأوربيين.

Published by Arab Journals Platform, 2006

دون إقحام حكومتنا في المسألة. ومن المهم الإشارة إلى أن القواد الكبار بحاجة كبيرة دائما إلى المال(8).

إن النظرة إلى السلطان الحالي مولاي حفيظ باعتباره سلطانا شرعيا أمر غير وارد حاليا فقد أعفي وخلع، ولم يبق أي أمير مقرب يمكن أن يكون سلطانا فعليا(9). ولهذا فإنه ليس مهما أن نكثر بما يمكن أن يعطيه لنا من ضمانات عن صدق علاقته معنا(10)، فقد كان في مواجهة مع المخزن والمتعصبين بسبب ما يبدية لنا من ولاء مؤقت(11)، وفي الأخير فإن حاجياته المالية معروفة باعتباره سلطانا.

وتجدر الإشارة هنا إلى علاقات الصداقة السابق ذكرها يجب أن تكون لنا مع خليفة سلطان تافيلالت. وبصفة عامة مع فيلاللة الجنوب الأقصى من المغرب فتافيلالت كما نعلم، هي مهد السلاطين. لكن الأمر لا يتعلق باحتلال تافيلالت ولكن ترابط علاقات صداقة مع الشخصيات السياسية والدينية بها. وهذا هو الهدف الأساس الذي يجب أن يكون لسياستنا في الجنوب الوهراني المغربي(12).

(8) إن هذه الحاجيات المالية ليست أبدا دليلا على تكديس الثروات المالية أو النهب أو التبدير أو بعض التصرفات الطائشة. ففي الواقع فإن القواد كما هو الشأن بالنسبة للنظام المخزني الذي ينتمون إليه كانوا يتحملون كل عبء الاحتلال الاستعماري الذي أضعف المالية العمومية والضرائب ومداخيل الجمارك. فقد تمردت القبائل المطالبة بالأداء فكان إخضاعها واجبا مما جعل شراء الأسلحة والذخائر لهم الكبير عند القواد حيث كان عليهم جمع فيالق من الفرسان والمشاة وتموينهم وهو شيء أهم مما يمكن جمعه من المتمردين سنة 1905.

(9) بويق المولى عبد الحفيظ بمراكش يوم 16 غشت 1907. وكان الابن الأكبر لمولاي الحسن، وكان من المفروض أن يكون وارث عرش أبيه، لكن الصدر الأعظم بإحماذ بايع أخاه المولى عبد العزيز.

ملحوظة : إن الابن الأكبر لمولاي الحسن هو مولاي امحمد وليس مولاي عبد الحفيظ كما ورد خطأ في التعليق. (10) وظهرت هنا أيضا فكرة مفادها أن علاقة الأمراء بفرنسا يجب أن تبقى سرية. ففي هذه الفترة بدأت سمعة مولاي عبد العزيز في التدهور حيث أصبحت العائلات الكبرى والأوساط المتعصبة تلومه وبعدة على انفتاحه الكبير على القوات الأوروبية (فرنسا وإنجلترا).

(11) يبدو أن دوتي قد أخذ طريقة خاطئة في التحليل بخصوص هذه النقطة لأننا نعرف أن من خلال الروايات المتواترة والمراسلات السلطانية لهذه الفترة أن مولاي عبد الحفيظ كان ضد الاحتلال الأجنبي والفرنسي خاصة. وكان حلف مولاي عبد الحفيظ بمراكش ما بين 1906 و 1907 مكونا من مناهضي (الحدادة) ومن الوطنيين الراضين، ثم إن مولاي عبد الحفيظ لم يخضع للأمر الواقع إلا فيما بعد أمام ضغوطات الحكم والضغط الخارجية من أجل حماية سلالته الملكية رمز وحدة البلاد. (12) لقد كان ضغط فرنسا في الكثير قويا منذ سنة 1906 بل وتزايد سنة 1907.

Cf : lettre du M.A.E. Pichon a Jonnart du 29 octobre 1907

نشر مقتطف في : Inenseignements coloniaux. 1907. N 11.g: 311A

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القائد الكلاوي كان يطمح في الوصول بنفوذه إلى منطقة نفوذنا في آيت عطا. ومن هنا يمكن أن يكون لسياستنا في الصحراء صدى وعلى سياسة الحوز⁽¹³⁾.

ب - الرعايا الجزائريين :

لا نهدف هنا البحث في إمكانية توظيف الجزائريين في سياستها لاحتلال المغرب. فقد سبق أن طرحت المسألة وباستمرار زمن القنصل M. Malpertuy بفاس والإقامة العامة بالجزائر حوالي سنة 1900. وكانت موضع نقاش بين M. Michaux Bellaire وبن غبريط بالجزائر⁽¹⁴⁾ وتطرح المسألة الآن خصوصا بفاس حيث توجد جالية تلمسانية كبيرة. ولا توجد بالمدن الساحلية عائلة جزائرية هاجرت إلى المغرب واستقرت به باستثناء الطيبين بالدار البيضاء.

أما بالحوز فلا توجد عائلات جزائرية كثيرة. وبالتالي لا تتطلب أي حماية، لهذا سيكون من الحماقة بالنسبة لنا فرض سلطتنا باللجوء إلى هذه الطريقة، ولنا الدليل في ما يلي :

لقد كان للحاج عبد القادر بن الحاج الحبيب بن كير من واد تمام (قبيلة الهواشم غرابة، دوار صباغة بلحنفي قرب مسكرة بوهران) أملاكا بأيت ايمور قرب مراکش في مكان يقال له أكفاي ثم اعتقله خليفة المتوكي⁽¹⁵⁾ وقرّبه وصادر أملاكه. وعبثا حاول أن يحتج باعتباره جزائريا وليس مغربيا لكنه مكث في سجنه وحول ابن القائد والحاج عبد السلام ينعت على كل ما وجد في ضيعته من خيل وماشية سواها إلى بيت المال. ويحرث مولاي حفيظ الآن أكفاي⁽¹⁶⁾. وقتل عبد القادر في المكان نفسه صيف 1906 لكن هذه الرواية التي

(13) منذ وفاة مولاي الحسن كان الكلاويون يعملون قصارى جهدهم لتوسيع منطقة نفوذهم إلى حدود واد درعة معتمدين وسائل أو دبلوماسية هادئة ومرنة من أجل تقادي حرب في المناطق البعيدة عن قواعدهم. فقد تدخل الكلاوي لإطلاق سراح المريكز Segoac الذي أسر بضم زكيد . ومعلوم أن نفوذ الكلاوي كان ممتدا إلى أولاد يحي وزناكة سيراوة وتازناخت. وهذه السلطة التي لا تستند إلا إلى إرضاء رغبتهم في الحصول على أراض جديدة تتطلب كثيرا من الفطنة، لكنه يبدو ومن المبالغ فيه القول بأن الكلاويين كانوا يهدفون الدخول إلى أيت عطا .

(14) كانت هذه النقاشات الحادة تدور بخصوص الحصول على أراضي فلاحية. فمِنذ 3 أبريل 1906 أقرت اتفاقية مؤتمر الجزيرة الخضراء في بندها 60 حق الأجانب في اقتناء الأراضي بكل أرجاء الوطن بموافقة السلطات المخزنية باستثناء ضواحي المدن. فكان - عمليا - من الصعب جدا على الأوروبي أن يشتري من المغربي. ومن هنا كان اللجوء إلى الجزائري لأنه لم يقيد بالشرطين السابقين أعلاه. فالمسلم يمكن أن يشتري من مسلم آخر، والمشتري الجزائري يمكن أن يبيعه إذن إلى الأوروبي.

(15) ينتهي عبد الملك المتوكي إلى عائلة قديمة من القواد التي سبست نفوذها على الأطلس الكبير المغربي منذ 1850. وفي سنة 1906 كان المتوكي (يحكم) تكتة ومجاط ومطاع لكن لم يصل نفوذه إلى الحدود الشرقية لواد نفيس. وقد بلغ نفوذ هذه الأسرة أوجه سنة 1911 بعد نكبة الكلاويين. فامتد نفوذها إلى الحوز كله وزمران والسراغنة والرحامنة الجنوبية. أما جنوبا فكان نفوذهم يمتد إلى سهل سوس كله وهوارة وشتوكة بل وسكتانة أيضا.

(16) أراضي أكناي هي التي تسقى بالساقية التي تحمل الإسم نفسه على الضفة اليسرى لواد نفيس. وهذه الأراضي اليوم المجاورة لأيت إيمور في ملك القصر.

رواها لي أحمد أخ المرحوم الذي يسكن مراكش. - ويسكن أحد اخوته بدوار جماعة بن حنيفي - يجب التأكد منها حيث يدعي أنه طالما طلب المساعدة من قنصل فرنسا لكن دون جدوى. فتوجه حاليا برسالة إلى الإقامة العامة وحولت إلى المفوضية. لقد فقد كل وثائقه في القضية لكن من السهل التثبت من هويته. ومن المعروف في المنطقة أن مسلما جزائريا قتله المتوكي. وقد كان لهذه الحادثة التي وقعت تقريبا في نفس وقت حادثة Lassalas صدى جد سلبي على محاولتنا. وأضيف هنا أنه كان بمراكش عدة أسرى⁽¹⁷⁾ جزائرية من أصول هاشمية.

وتوجد فئة أخرى من الرعايا الجزائريين أكثر أهمية بالنسبة لنا : إنهم جواطة مراكش الذين طلبوا من الدكتور Linares أن يصبحوا محميين فرنسيين. لكننا لم نستجب لطلبهم لحد الآن على الرغم من كونهم يكونون جالية مهمة جدا من عدة فئات وتوجد منهم عشرين أسرة من الأشراف يتاجرون كلهم في التوابل (عطارة). وأثناء إقامتي بمراكش خلال شهر دجنبر طلبوا مني الطلب نفسه الذي سبق أن قدموه إلى Linares وقاموا بتدابير أولى في هذا الاتجاه، ولما كنت غائبا وعدوا بالعودة لكنهم تراجعوا عن الخطوات الملحاحة التي قاموا بها لدى مبعوثنا الرسمي عمر بن مجاط.

ونشير هنا إلى أن ملف الجزائريين المقيمين بالمغرب مرتبط بملفات أخرى، أولها ملف مغاربة الجزائر وهو ملف فيه كثير ما يقال. فمن الأجدر التركيز على هذه الجالية ومعرفة ظروف هجرتهم السنوية. لكن يجب الاحتياط من أن تكون السلطات الجزائرية التابعة لنا لها يومية كافية مع المغاربة وبالتالي سيصعب علينا إقناعهم بتطور نفوذنا الفرنسي في المغرب⁽¹⁸⁾.

وتوجد مسألة أخرى لها علاقة بشكل أقل مع الجزائريين بالمغرب إنهم الجزائريون بسوريا. فمن المهم بالنسبة لنا استعمال السوريين بالمغرب، وهذه مسألة تتطلب البحث والدراسة. وبصفة عامة فإننا نشير هنا إلى أن السوريين يعيشون في رفاهية هنا في

(17) كان Jean Danaunt Lassalas أحد أفراد البعثة المغربية مستقرا بمراكش سنة 1905. وفي سنة 1906 حاول الحصول على بعض الممتلكات الفلاحية بزاوية بلحول في تكتة بالحوز الشرقي. وفي 19 شتبر هاجمه رجال القائد ابراهيم بويهات وأصابوه بجروح. وقيل بأن هذه الحادثة تندرج ضمن حركة ماء العينين.

(18) من الأكيد أن ما يقع في الجزائر يثير الإهتمام بالحوز، فأثناء مطاردة المدني الكلاوي وأخيه التهامي (في فيلق مكون من 100 خيال و200 من المشاة لكنهم من الحوز) لبوحمار سنة 1902. رجعوا إلى وجدة عبر وهران وطنجة. وتؤكد مما يتداوله الحجاج عن ما يقع بالجزائر من مصادرة الأراضي وبخس قيمتها واندحار الزعامات وازدهار الاحتلال الفرنسي. فادركوا منذ ذلك حتمية الاحتلال.

المغرب وخاصة المصريين، ثم إن اللجوء إلى السياسة التي اتبعت في مصر وتطبيقها على شمال إفريقيا ظلت غائبة لحد الآن ولكنها مسألة ستطرح رغما عنا في الآجال القريبة.

ج - المجموعات الاجتماعية من أصول جزائرية :

نعني بهم فخذات القبائل الجزائرية أو التي فرت من الجزائر⁽¹⁹⁾ واستقرت بالحوز. فمن الأكيد أن هذه المجموعات استقرت تحت سلطتنا المباشرة، لأن لديهم في أغلب الوقت مصالح مشتركة ومرتبطين برابطة الدم مع أهلهم بالحوز أكثر من الروابط القانونية للملكية.

ومن أوضح الأمثلة على هذه الجماعات : الغنانمة الموجودين على بعد ثلاث ساعات من مراكش تقريبا على طريق تامصلوحت. مكونين من حوالي مائة رجل وهم أقارب الغنانمة بواد الساورة الموجودين تحت نفوذنا. وتوجد فخدة أخرى من الغنانمة قرب السميرة على طريق مراكش مازكان (الجديدة) لا أعرفهم.

وينتمي الغنانمة إلى هذه المجموعات الغربية من القبائل التي وصفها Moulieras.

فلنأخذ مثالا لهم : زيارة جيران الحدود الوهرانية. فدون أن يصفهم بأنهم أهل بدع أو ملحدين فإنهم معروفون بعبادات تقليدية ومحافظة تثير الانتباه كثيرا⁽²⁰⁾ إنهم غير متدينين، وكثير منهم يحترف حرفا بدوية متنقلة كإبراء عيوب الخيول وتصويبها، وهذه الحرفة تمكنهم من أن يكونوا مخبرين جيدين ومن أجل هذا يجب توظيفهم في هذا الاتجاه ثم أنهم يعدون بالمئات في فخذتهم بحوز مراكش. أما عدد الغنانمة بواد الساورة والذين لهم ممتلكات بفخدة مراكش فيعدون بالثلاثين وسنحصل بسهولة في واد الساورة على لائحة بأسماء فخدة مراكش لهم ممتلكات هناك.

(19) نرى هنا أن شبح مصر لم يفارق السياسة الفرنسية في المغرب. ولا ندري هل يتعلق الأمر بعوامل أيديولوجية أو سياسية للحركة السلفية بالمغرب. أو أن دوتي يريد أن يطرح من جديد مسألة المنافسة مع بريطانيا العظمى... ففي سنة 1906 أو 1907 كانت مسألة إلهاء البريطانيين أو التساهل معهم وحدهم لاحتلال مصر شيئا متداولاً في المستعمرات الفرنسية بإفريقيا.

(20) لقد تداول الناس هذه الأساطير أو الخوارق كثيرا لكن دون تقديم أدلة مقبولة. وبهذا الخصوص فإن عددا كبيرا من القبائل التي تقول إنها مسلمة لا تتوانى في اللجوء إلى ممارسات سحرية وخرافية يمكن أن تكون بدعة. لكن يجب التمييز بين الممارسة الطقوسية للدين والاعتقادات الدينية الصلبة.

ملحوظة : توجد فئة من الغنانمة ببوشان بالرحامنة الوسطى تقوم بممارسات وطقوس غريبة كآكل جمر النيران يسمون بالمنطقة بأولاد لالة مليانة وكان يقوم بعض كبارهم - وإلى وقت قريب - بزيارات سنوية إلى جدهم بالجزائر؟ وسيكون غريبا كثيرا إذا اعتبرنا هذه المجموعات مبتدعة. فمن هو المحافظ والمتشبه بالنصوص الدينية الحقيقية في المغرب.

وتوجد بضواحي مراكش فخدة أولاد سيدي الشيخ⁽²¹⁾ قرب واد نفيس على الضفة اليمنى وبالتدقيق بين نزالة اليهودية ونزالة نطلة زعيمهم الحالي هو سي العربي بن بوبكر عددهم حوالي 100 فارس. لكن تجدر الإشارة أن الأمر يتعلق بأولاد سيدي الشيخ الغرابية وهم رعايا مغاربة⁽²²⁾ إلا أننا نتوفر على وسائل ضغط معروفة⁽²³⁾ على أولاد سيدي الشيخ غرابية. وليس من المغامرة الاعتماد على أولاد سيدي الشيخ بمراكش كنقطة قوة في سياستنا الفرنسية بالحوز. وبالفعل عندما كنت في دجنبر الأخير بمراكش قدم عندي أولاد سيدي الشيخ وكانت لنا في اللقاء الأول مناقشات مهمة جدا حيث كانوا متخوفين بالخصوص مما قمنا به لابن بوعمامة⁽²⁴⁾ وكانوا جد متيقنين أننا نحن الذين طالبنا به.

ونشير في آخر هذا الكلام أن المجموعات الأمازيغية بالحوز تحيط بها مجموعات صحراوية⁽²⁵⁾. قدمت بطلب من السلاطين (المغاربة) في تواريخ مختلفة من أجل احتواء القبائل البربرية. وإذا استثنينا بعض الأقليات من هذه القبائل التي انتشرت هنا وهناك فإننا نرى أنها تحتل مجالات واسعة ومتماسكة ومهمة. خاصة أنها تمارس تأثيرا ونفوذاً كبيرين في المشهد السياسي العام، إنها مجموعات عنيفة ومتعصبة وكانت من أهم العوامل لمطاردة النصارى ورفض وجودهم بالحوز خلال هاتين السنتين الأخيرتين.

وكل هذه الفخدات من القبائل الصحراوية لها قبائلها الأم التي تتحرك في مختلف

(21) يتعلق الأمر كما يعرف المختصون بتاريخ المغرب بمجموعة أصلها من الجنوب الوهراني التي ثارت ونفيت إلى المغرب أمام الضغوطات الفرنسية بالجزائر.

(22) شنت الإدارة الفرنسية (القبيلة) إلى ثلاث فخدات، الأولى بتبسة والثانية بالقستطينية والثالثة بجنوب الجزائر. ولقد تمكن الشريف الوزاني بن عبد السلام الوسيط بين مولاي الحسن والسلطات الفرنسية من الحصول على موافقة فرنسا بالسماح لزعماء الثورات وغرابية اللجوء إلى المغرب. وأورد المولى الحسن بهذا حماية حدوده الشرقية من زحف الفيلق الفرنسية لكن المقيم العام بالجزائر طلب من السلطان أن تهجر فئة على الأقل من أولاد سيدي الشيخ إلى الحوز.

(23) خاصة الشراكة لكن دوتي يمكن أن يكون على صواب في إسقاط التمييز.

(24) بوعمامة مقاوم من الجنوب الوهراني. وكان مناوئاً للجيش الفرنسي بالجزائر. ولما لم يستسلم لجأ إلى التخوم الجزائرية المغربية. فعندما كانت تتناقص فيه قوته العددية يكون مضطراً للقيام بمناوشات ونصب الكمائن للفيلق الاستعمارية ولما تقدم به السن واصل ابنه الطيب المناوشات والوسائل الحربية نفسها وبواسطة المسامات التي لم يشر إليها حتى مع : Saint René Taillandier : Les origines du Maroc Français, Paris. 1930. P 361.

طلب ابن بوعمامة يوم 25 أكتوبر 1905 في رسالة موجهة إلى السلطات الفرنسية الاستسلام، فطلب منه الحضور إلى الأغواط. ولم يفهم أولاد سيدي الشيخ لماذا اعتقل المخزن الطيب وما هي الظروف التي قدم فيها إلى فرنسا. وقد لا نعلم أن قريب الطيب وابنا صغيرا لعبد القادر كانا ضمن مخزن بوحمارة الذي كان يحمل منذ سنة 1902 اسم مولاي محمد بن مولاي الحسن أخ السلطان الحالي (ي حفظ).

(25) يتعلق الأمر بكل القبائل المعقلية المسماة خطأ أهل سوس ونقصد بهم : الوداية والرحامنة والبرابيش وأولاد دليم وتيدرارين والعروسيين وأدا أو بلال وتكنة ومجاط إلى آخره الذين كانوا منتشرين قبل القرن 16م على كل التراب الموريتاني الحالي. ويفسر صعودهم نحو الشمال بسبب التجارة الصحراوية واحتلال البرتغاليين للسواحل والفرار الذي كان بالحوز من أي ساكنة والمجاعات الكبرى والطاعون في بداية ق 16م أكثر من هو التحاق هذه القبائل بالجيش السعودي لمكافحة الاحتلال.

المجالات في الصحراء المغربية. لكن من الأكيد أن لا أحد يستطيع أن ينكر أن الصحراء كلها ستسقط في أيدينا في أقرب وقت، حينها ستصبح سياستنا في الصحراء مرتبطة بسياستنا في الحوز. فليس مبكرا أن نفكر في الأمر منذ الآن، ثم إن قبائل الساقية الحمراء أعطت لحوز مراكش جماعات مهمة وقيمة، يتعلق الأمر بالقبائل التي فيها ماء العينين⁽²⁶⁾. إن توسيع نفوذنا في الساقية الحمراء سيكون في أقرب الأوقات إذا أردنا أن نتفادى الرجوع بالمغرب إلى مراحل التمرد والفوضى مثل ما وقع أثناء زيارة الولي المشهور في الصيف الأخير. ومنها سنحصل في الوقت نفسه على قسم من الحوز.

نعلم أن طوارقنا قد قاموا مؤخرا بهجوم وتمرد غير سارين. فعلى الرغم من أنه من المهم تسيير تحركاتنا العسكرية الصحراوية من الساقية الحمراء أكثر من تافيلالت حيث علينا أن تكون فيها صداقات. ومن الممكن أن يكون ضم الساقية الحمراء إلى موريطانيا الصحراوية توجها صعبا. وسيكون أمرا مؤسفا لأن الساقية الحمراء لا علاقة لها بالمنطقة السودانية في أي شيء بل بالعكس لها علاقات قوية وواسعة سواء على المستوى الاثني أو الاجتماعي أو الديني مع شمال افريقيا، وهي أحد مفاتيح سياستنا بالمغرب فليس من الأكيد أننا فكرنا في هذا الأمر عندما حصرنا مجال نفوذنا في الجزائر وموريطانيا ودون أدنى شك هذه مسألة قليلة الأهمية⁽²⁷⁾.

د - المجموعات الدينية :

كلما كان المجتمع بدائيا كلما سهل على الدين اقتحام كل مؤسساته. لا أعتقد أننا نلاحظ اليوم وبجدية صحة هذا المبدأ المهم الذي تقترحه السوسولوجيا⁽²⁸⁾. أي أننا في مجتمع (بريري) مثل الغرب، توجد القوى الدينية ضمن أهم القوات. فعندما كنا نتحدث عن القواد الكبار لاحظنا كيف كان من الخطير أن نفرض عليهم سياسة استعمارية، فتأثيرهم فردي

(26) ازداد محمد مصطفي ماء العينين بكومبو (ولاية بموريطانيا) حسب المؤرخين ما بين 1825 و1938. وتوفي بتزيت في 28 أكتوبر 1910. وهو فقيه وشيخ صاحب كرامات مشهورة. وكان قد تدخل لدى المولى عبد العزيز ليوضح له موقفه الراض للاحتلال. وكانت زيارته ورحلاته للشمال تذكى الحماس في مقاومة الاحتلال وكان الملاحظون الأوربيون يرون فيه مرابطا جديدا، الشيء الذي كان ذريعة لهم - كما نرى هنا - للقيام بتحريك فرنسي إلى الساقية الحمراء (الجهة الشمالية من الأراضي التي ستصبح تحت الاحتلال الإسباني Riodeoro). وقد دفعت هذه التحركات في الوقت نفسه الشيخ ماء العينين محاربة الفرنسيين شمال الأطلس. وفي سنة 1910 بوع سلطان بتزيت وزحف ابنه الهبة نحو مراكش يوم 17 غشت 1912 لمواجهة الجيوش الفرنسية بالسفوح الشمالية للجبيلات. (قرب سيدي بوعثمان).

(27) إن مسألة حصر مجال النفوذ الاستعماري بين الجزائر وموريطانيا وطماننة المترجلين على الضغوط الحدودية الوهمية أو الخيالية حاضرة، إلى حد أن الجيران كانوا يتفاهمون فيما بينهم تفاديا لأي فوضى أو انعدام أمن.

(28) خاصة إذا لم نعد نعرف اليوم ما المقصود بالبداية، أما بالنسبة للدين فإننا نسير في معرفة دلالته. إن الأيديولوجيا الرأسمالية تنقد القوات الدينية والضرائب البربرية قيمتها عندما تواجه بالعنف الاستعماري.

وكان دائما قبلها . وعلى العكس تماما من تأثير الزعماء الدينيين الذين يستمدون زعاماتهم من المعتقدات المشتركة والجماعية . فمعتقداتهم متجددة ومتأصلة ودائمة ، فالسياسة التي تربطنا مع القوى الدينية الكبرى في المغرب يتحكم فيها قبل كل شيء عامل الوقت (29) . فيما يتعلق بالحوز فإن كل هذه التأثيرات والقوى توجد حاليا إذا أردنا تحت أيدينا .

فلنحصر الواحدة تلو الأخرى . لكن يجب أن نميز قبل ذلك بين الطريقة الدينية والأولياء الذين ليسوا لا زعماء ولا أتباع طريقة ما . فالطرق ليس لها أهمية إلا في المدن . والأولياء لهم بعض التأثير في المدن لكنه قليل في البادية .

الطرق/الزوايا :

نحن بحاجة إلى دراسة مفصلة للطريقة المغربية (30) إن الطرق الأساسية التي لها أهمية حقيقية في الحوز هي التهامية والتيجانية . ويمكن أن نضيف إليهم على سبيل التمثيل فقط : الناصرية التي لم أدرسها . لكن هذا لا يعني أن الطرق الأخرى لا يجب أن نعيدها اهتماما . لكن الطريقتين اللتين أشرت إليهما لهما تأثير أكثر بالمقارنة مع الأخرى . فالتهامية والطيبية وهما أتباع الطريقة التي يتزعمها شريف وزان ، وقد كانت لي فرصة

(29) هذه ملاحظة ذكية ، لأن القوات العقارية والمالية الأكثر حضورا في الحوز لم تكن ممثلة في القواد والسلاطات ، لكن في الزوايا .

فالمصلوحيون مثلا حافظوا على ممتلكاتهم وأراضيهم ومياهم طيلة أربعة قرون دون انقطاع منذ 1570 إلى الآن فمن سيقول مثل هذا عن مراکش؟

ملاحظة : انطلقت الزاوية المصلوحية من مبدأ جزولي قائم على خدمة الأرض وإنعاشها ، فتمكنت من خلال توظيف مواهب الشيخ المؤسس : (عبد الله بن حسين الأمغاري) من تكوين أرضية مادية لانطلاقتها كزاوية منعشة لبداية الحوز . ولم تكن هذه الأرضية إلا مظهرا لنشاط صوفي مكثف عرفه حوز مراکش إبان انطلاق الحركة السعدية ، حيث مهد هؤلاء الصوفية (الجزوليون) مواهبهم وكراماتهم من أجل دعم دولة السعديين الناشئة ليس فقط من جانب الدعوة السياسية بل كذلك بما قدموه من خدمات اقتصادية . ولعل نجاح عبد الله بن حسين في إنعاش نواحي مركز تمصلحت الموحدي ، خير ما نستدل به على ذلك . لذلك انتهت الدولة السعدية بعد استقرار أوضاعها ، أدوار هؤلاء الصوفية المزارعين ، فحولت أداءهم من مجرد أداء لتجاوز أزمات الجنوب إلى احتواء سياسي بغطاء الإمتيازات المخزنية . (للتفصيل انظر الفصل الأول من أطروحة الدكتور معتمد المازوني في موضوع : (الزاوية المصلوحية والمخزن) تحت إشراف د . إبراهيم بوطالب كلية الآداب - جامعة محمد الخامس - الرباط ، 2002 - 2003 .

(30) عندما كتب دوتي هذا الكلام في يناير 1907 كان قد سبق له أن ألف ثلاثة كتب (عن الطرق في المغرب) و(عيساوة تلمسان) و(الاسلام الجزائري والأولياء) فهو بدون شك كان يحضر لكتابه (السحر والدين في افريقيا الشمالية) الذي سينشره سنة 1909 . لكن M . (Belaire et Drague (spillman) et Dermenghen) هم من سببتمون هذا العمل .

ملاحظة الطابع البدائي والمجالي لهذه الطريقة فهي تملك أراضي واسعة جدا شمال المغرب هنا وهناك وعزبان مهمة بالحوز. ولها بعض الزوايا في المدن الكبرى بالشياطمة وحاحة. ولا أتحدث هنا إلا على سبيل التوثيق مادام أنه من المعروف أن كل هذه الطريقة تحت أيدينا⁽³¹⁾.

للتيجانيين في مدن الحوز أهمية أكثر من التهاميين. فأكبر الشخصيات المخزنية والتجار تيجانيون، خاصة القواد الكبار. فالتيجانية طريقة الشخصيات المهمة⁽³²⁾.

فالمدرسة الجزائرية التي درست الطرق الدينية قدمت التيجانية باعتبارها متفرعة إلى فرعين لا رابطة بينهما وهما : تيجانية المغرب وتيجانية الجزائر. وأن الزاوية الأم الموجودة بعين ماضي قرب لغواط لم تمارس تأثيرا على الزوايا المغربية. لكن بعد أن لاحظنا أن أكبر القواد كانوا تيجانيين أدركنا أنه كانت هناك بعثات متتالية بين الزاوية الأم وزوايا المغرب، وهذا ما لا يدع مجالا للشك في نفوذ عين ماضي. فإذا كانت المدرسة الجزائرية قد أخطأت فإنه يبقى علينا أن نعرف أنه إذا وضعنا أيدينا على آيت ماضي سنكون قد وضعنا أيدينا على عامل مهم في سياستنا المغربية.

ولما تقدمنا بهذه الملاحظات إلى السيد وزير فرنسا بالمغرب، كان ممثلنا يرغب أن يطلب من المقيم العام بأن يصدر تعليماته للقيام ببحث في المسألة ومعرفة هل لازال لولي عين ماضي التأثير نفسه على زوايا المغرب. وكلف السيد المقيم العام بهذه المهمة الحساسة السيد الضابط والمترجم Mirante رئيس قسم الترجمة بالإقامة العامة مدير «المبشر» الذي يتكلم العربية جيدا وعلى معرفة واسعة بشؤون الأهالي. فذهب السيد Mirante إلى عين ماضي. وبعد الصعوبات التي واجهها في الحصول على معلومات رجع من زيارته بتقرير مفصل عن التيجانية أسعدنا بنتائجها التي كانت وفق توقعاتنا.

ليس فقط أن التيجانية انشقت إلى شقين، لكن كنا متيقنين من قبل أنه يمكن استغلال هذه النقطة لصالح حركتنا بالمغرب.

(31) لم تنشر أطروحة الهاشمي برادي بعنوان «شرفاء وزان المخزن وفرنسا ما بين 1850 و1912» التي نوقشت سنة 1971. ولا تتوفر حاليا إلا على مقال لـ "Michaux-Bellaire" دار وزان "La maison d'Ouazzane. R.M.N. 1908 p 23. 89" الذي يعطي نظرة - قديمة - عن المسألة. إن حصول عبد السلام الوزاني في القرن 19 على صفة محمي فرنسي وكذا حصوله على صفة زعيم الزاوية كان شيئا مفاجئا. وكان الأمر يتعلق في الواقع بفرض الهيمنة الفرنسية على القوات الأكثر محافظة من أجل إخضاع ممتلكاتها للقوة الاستعمارية.

(32) لقد بدا الانخراط في الطريقة للأنثروبولوجيين كناسيس لروابط صوفية شطحاتية أو صوفية دينية. وهذا شيء صحيح بالنسبة لبعض التيارات الصوفية. لكننا نفحص هنا بطريقة كافية بعض التيارات التي تشتغل على شكل نوادي. ودون الدفع بالمقارنة إلى الأمام فإن الأعيان كانوا في بداية القرن تيجانيين. كما انخرطوا أيضا في ناديي Rotary أو Lion's Club.

لاشك أن دراسة الطرق الدينية بطريقة دقيقة ومقارنة سيمدنا بمفاجآت أخرى مع العلم أنه لا يجب أن يكون هناك لبس في الحركية الممكنة لهذه الطرق. فإذا طلبنا من ولي عين ماضي أن يلتحق بنا علانية فإننا سنغامر بسقوط وزنه وقيّمته في أعين المغاربة وأعين الزوايا بسبب انتمائهم وتبعيتهم. وسيظهر لنا في المقابل حماس المسلمين وتعصبهم أكثر من التيجانية مما سيدفع إلى المساهمة في نمو فرع مغربي للطريقة مخالف عن الفرع الجزائري.

ومن جهة أخرى، فإن كون كبار الشخصيات المخزنية كلها تقريبا تيجانية لا يمنع أن يكون لهم توجيهات سياسية من عين ماضي. لكن يجب التفكير في أنه على العكس مما سلف فإن زعماء الطرق يتفادون بطريقة لبقة الانخراط في الصراعات السياسية ولا يوجد هنا أي تأثير أو خدمة يمكن أن يعطوها لنا.

ويبقى من المرغوب فيه أن تكون دراسة الطرق الدينية الأخرى المشتركة بين الجزائر وتونس والمغرب من جهة أخرى بشكل دقيق حتى نحصل على أخبار ومعلومات مهمة. ويتمنى الكاتب أن ينادى عليه للمساهمة فعليا في هذه الدراسة ليس فقط من وجهة نظر علمية وإنما أيضا من وجهة نظر سياسية⁽³³⁾.

الأولياء :

ونعني بهم هنا الأولياء الذين لا يستمدون سلطتهم من طريقة دينية. كما أنه يجب التفريق بين الأولياء الذين لهم تأثير محلي. والأولياء الذين لهم نفوذ واسع. فبخصوص الفئة الأولى فليس لدينا إلا القليل مما يمكن قوله حيث يجب أن يدرس كل واحد منهم على حدة⁽³⁴⁾.

(33) في الوقت الذي طلب المؤلف هذا الأمر كان يهيء في الواقع كتابه المهم «السحر والدين» وبدأ له التعاون مع السلطات الفرنسية الوسيلة الناجعة للحصول على مزيد من المعلومات.

(34) قام L. Voircot في الحوز بهذه الدراسة المنوغرافية بهدف مراقبة سريعة للسلطات الاستعمارية تحت عنوان : الزوايا المراكشية المناطق المجاورة» R.G. Mxx II, P: 533

(35) انظر الهامش 17.

(37) المتعصبون دائماً هم الراغبون في تقسيم الثروات، وهم الجياع الذين جاؤوا من الصحراء للمطالبة بالامتيازات والسيادة باسم الوطنية الإسلامية التطهيرية الشديدة لا يمكن إلا أن يجمعوا ضدهم أقوى الحوز وممثلي القوات الأجنبية. وهذا ما لاحظناه بقوة أثناء حملة الهبة لسنة 1912.

الديني الذي يتقاسمه الشريفان الكبيران بالجنوب المغربي وأقصد بهما شريف تامصلوحت وشريف تازروالت.

إن مولاي الحاج محمد حفيد الولي الشهير عبد الله بن حساين هو زعيم زاوية تامصلوحت التي دفن بها جده وهي على بعد ثلاث ساعات من مراكش. ويمتد نفوذها في كل أطراف الحوز حيث يصل شمالا إلى حدود الشاوية ببولعوان، وغربا إلى حدود البحر - المحيط الأطلسي - وجنوبا إلى حدود واد سوني وشرقا إلى حدود أيت عطا. حيث إن له في كل البلدان خداما وعدة زوايا دفن فيها حفدة جدهم الأكبر مولاي عبد الله أمغار*.

وهذه الزوايا هي زاوية مولاي ابراهيم بالأطلس جنوبا على بضع ساعات من تامصلوحت وهو أحد الأماكن الأكثر زيارة في المغرب الجنوبي، وزاوية الساييس بدكالة، وزاوية تيط قرب مازكان (الجديدة) حيث دفن الجد، وزاوية بولعوان في تخوم الشاوية وزاوية بزو بنتيفة، وزاوية مولاي عيسى بن ادريس بأيت عتاب فوق دمنات وزاوية أمان أو كيدار وزوايا أخرى بأيت عطا بالصحراء(38).

وبفضل هذه القبيلة امتد نفوذ مولاي الحاج إلى الصحراء وتافيلالت، ولسنا في حاجة إلى التذكير بأهمية هذه الملاحظة في سياستنا في أقصى الجنوب الشرقي الجزائري.

إن زوايا مولاي الحاج وخدامه لا يكونون طريقة فليس هناك (ورد) ولا تعاليم فقهية ولا تنظيمات مشابهة لطريقة ما. يتعلق الأمر فقط باحترام كبير للشرفاء المنحدرين من العائلة الكبرى لبني أمغار الذين يعتبرون تامصلوحت الزاوية الأم. بل على العكس من ذلك تماما فإن مولاي الحاج يكره الطرق.

لقد كانت علاقة مولاي الحاج مع المخزن سيئة جدا. فقد كان مسير الشؤون اليومية لقريته طيلة حكم مولاي الحسن، لكن لما ولي مولاي عبد العزيز نزاع منه كل تلك الصلاحيات. ومن ذلك الوقت انقطع خط التواصل والتفاهم مع ممثل المخزن بتامصلوحت كيفما كان اسمه ووزنه، بل إن الشريف كان عدوا للمتوكي والكلوي خاصة الأولين (المخزن والمتوكي) بسبب تطاولهما على ممتلكاته.

(38) للأمغاريين أكثر من تابع بواد درعة، بل أنهم ساعدوا في تكوين حلف أيت عطا سنة 1844 إلى درجة أن السلطان مولاي عبد الرحمان طلب من أحد المصلوحيين التدخل شخصيا عند أيت عطا وأيت افلمان وقبائل أخرى للفيجة وحثهم على الجهاد ضد الزحف الإسباني (ظهير مورخ بـ2 غشت 17/1260 غشت 1841) نسخة خاصة.

(*) ملحوظة: يمكن تصحيح هذه المبالغة بالقول إنه لا توجد زوايا دفن بها حفدة عبد الله أمغار الكبير بالصيغة الإطلاعية الواردة في النص، لأن مدافن آل أمغار وزواياهم معروفة في نطاقات معروفة. أما في ما يتعلق بتشكيل حلف أيت عطا فإنه سابق عن سنة 1844. ثم إنه لم تكن لمولاي الحاج زوايا بل امتيازات، ورعاية لزوايا هي في الأصل فروع لزوايا تامصلوحت.

أضف إلى ذلك أن مولاي عبد العزيز كان السلطان الوحيد الذي لم يجدد ظهير الاحترام والاعتراف بالزاوية لمولاي الحاج(*)).

وعلى العكس من هذا فإن مولاي الحاج كانت له علاقات جيدة مع الكندافي لأن سي الطيب كان مدافعا وحاميا طبيعيا للزاوية، لأنه أولا عدو القائدين السابقين، وثانيا لأنه كان عليه الاعتناء بزاوية مولاي ابراهيم الموجودة في مجال نفوذه خاصة أن أهالي المنطقة يحترمونها كثيرا ويقدرونها.

في ظل هذه الظروف أصبح مولاي الحاج محميا انجليزيا ليأمن من مشاريع المخزن ومخططاته(39). فمن الأجدر بنا نحن - ضدا على الانجليز - أن يكون محمينا. فإذا تذكرنا الخدمات المتعددة التي مدنا بها شرفاء وزان سنفهم حينها الأهمية الكبرى للخدمات التي يمكن أن يقدمها لنا أحد شرفاء الجنوب الذي يمتد نفوذه إلى أيت عطا بتافيلالت.

مع العلم أن الحكومة البريطانية مستعدة أن تترك لنا محميا. فقد أعطتنا الموافقة الكاملة لذلك غير أن ممثليها المحليين وخاصة Lennox هم من عارض الأمر بشدة وساهموا في إفشال هذه المحاولة. لقد كان الشريف شخصا يحب هذا الأمر، وقال لنا مباشرة «نحن كالتمر والحليب سأرجع معكم» وقال أيضا «قد يأتي اليوم الذي سأحمل فيه العلم الفرنسي على الزاوية وسأذبح عشرين ثورا» وكنت أشك في ذلك حيث تبني منذ ذلك الوقت خطابا معارضا ووقع تحت تأثير بعض النصائح والآراء الخائنة. لكن أنا متيقن - ومن خلال الالتزامات التي أعطاها شخصا - إنه إذا طلب منه أحد ممثلي فرنسا الأمر نفسه فإنه سيجيبه بالجواب السابق(**).

(39) في سنة 1869 قام مولاي الحاج المصلوحي بالخطوات الأولى (بخصوص موضوع الحماية) لدى القنصل الفرنسي بالصويرة بواسطة Paul Lambert.
(Cf : Jacques Laille : Un procès consulaire à Mogador en 1867. Hesperis.t.v). 3ème-4ème trimestre. 1953. P: 333-342.

وعشر سنوات بعد ذلك تقدم مباشرة لكن رفض استقباله.

(A.G.R. au 5 Janvier. Marrakech. A.G.P. C9, 1^{er} juin 1896).

وفي سنة 1896 أصبح محميا بريطانيا، لكن التطور الاجمالي للأحداث السياسية لم يغب عنه وحاول من جديد التقرب من فرنسا. وفي 12 ماي 1906 كتب Mac-lean إلى Lowther لقد أصبح صديقنا من تمصلوحت «يحب» فرنسا الآن» F.0174/251.
لكن إلى حدود سنة 1929 ظل مولاي الحاج محميا بريطانيا. بعد ذلك تخلى عنه الانجليز لسلطان الحماية(**).

ملحوظة: للتفصيل في ملاسبات منح بريطانيا العظمى الحماية لمولاي الحاج، وموقف المفوضية الفرنسية بطنجة والمخزن المغربي من ذلك، يراجع القسم الثالث من أطروحة الدكتور المازوني التي سبق أن أحلنا عليها والمعنون بـ «من الحصانة الفرنسية إلى الحماية الأجنبية».

ولا أذكر هنا شريف تازروالت إلا على سبيل التوثيق لأنه لا نفوذ له بالحوز، بل إنه محصور عند بعض سكان قدم الأطلس. إن نفوذ شريف تازروالت ممتد في سوس ودرعة والساقية الحمراء مثل شريف تامصلوحت في الشمال. فإذا كان نفوذ شريف تامصلوحت يمتد إلى صحراء تافيلالت، فإن نفوذ الآخر يمتد إلى الساقية الحمراء حيث سيتصادم مع نفوذ ماء العينين. ونفهم بعد ذلك كله الأهمية الكبرى التي تمكننا منها دراسة هذا التأثير والنفوذ. التي ستعود بالفائدة على عملنا في سياستنا في الجنوب المغربي الأقصى. وليس على بحثنا الحالي الذي لا يتعلق إلا بالحوز.